في البحر » ، ذلك أن الحملة كـــانت تعرف اهدافها، كما أن مخططيها على وعي كبير بالجماهير التي تخاطبها ، تعرف مدى حساسيتها نحو ما يمكن ان يمثل « اعتداء » على « اليهود » فالذهن الاوربي والامريكي بصفة عامة يختـــزن ذكريات خاصة من حملات اضطهاد « اليهود » وما تعرضوا له في تلك البلاد ، مما ولد عنده حساسية خاصة تجاه ما يعرف « باللاسامية » او معاداة اليهود ، وهو العامل الذي تلاعبت به الدعاية الصهيونية كثيرا ، وغذته وضخمته بشكل كبير .

القول بأن « العرب يريدون القاء اليهود فـــي البحر » ، رغم انه أشيع بشكل واسع في الحملة الدعائية التي سبقت عدوان حزيران (يونيو) — وربما حتى الان(٢)، الا انه ليس اختراعا حديثا لقد صكته الدعاية الصهيونية مبكرا ، وحاولت ان تشرعه دائما في وجه العرب ، كاتهام مسلط، لتكسب به عاطفين عليها ، ومؤيدين لاهدافهـــا ، تستعديهم جميعا ضد العرب ، هذا ، في وقت كان العرب لا يتحدثون عن مواطنيهم « اليهود » الا بقولهم : انهم منا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وهنا نلاحظ ان تداول الدعاية الصهيونية لهـــذا التعبير يروج رواجا كبيرا في حالتين : اذا ما شعرت الصهيونية ان مخططها يواجه أزمة او عقبة ما ، تعوق تنفيذه أو اكتماله ، او اذا ارادت ان تخطو خطوة جديدة نحو تحقيق اهدافها ، وصولا بها الى الهدف الاعلى : اسرائيل الكبرى .

وبينما كانت القوى الصهيونية تشنع على العرب زاعمة أنهم « يريدون القاء اليهود في البحر » كان زعماؤها هم الذين يتحدثون بصراحة وبدون مواربة، ويخططون بنشاط وجد ، ويعملون بسرعة كبـــيرة وصولا الى : « القاء العرب في الصحراء » بل ان اكثر زعماء الصهيونية وروادها كانوا يسقطون الوجود العربي في فلسطين من حسابهم ، ففلسطين أرض بلا شعب ، يجب أن تعطى لشعب بلا أرض! حسب الشعار الصهيوني الذائـــع الانتشار . والقضية هنا ليست قضية كلام او مجرد شعار، فقد نفذ هذا الشعار بدقة وبحسم ، وفي مراحل متتابعة ومرسومة . فالمعول عليه هنا اذا ما كان العرب قد القوا « باليهود » في البحر حقا أم لا ؟ واذا ما كان العرب قد انتزعوا شعبا من وطنـــه وأرضه وسلخوه منه وشردوه ، في صورة لم يعرف لها التاريخ مثيلا ؟

من هذا العرض الموجز ، نستطيع ان نضع أمامنا ثلاثة افتراضات رئيسية :

الاول : ان يكون العرب قد قالوا فعلا بالقاء اليهود في البحر .

الثاني : أن العرب لم يقولوا بالقاء اليهود في البحر ، وأن التعبير — أصلا — من خلق الدعاية الصهيونية .

الثالث : أن يكون بعض العرب ، نفر قليـــل منهم قد تورط في قول ذلك ، ولكن بمعنى خاص، ليس هو المعنى الحرفي لهذه العبارة ، وانما هي على الارجح تعبيرات تدخل في اطار « التشنجات الخطابية » التي ينساق وراءها هـــذا الحاكم العربي او ذاك في محاولة لارضاء الجماهير او كسبها والحصول على تصفيقها .

هذه الافتراضات الثلاثة يمكن أن نعرض لها من جانب تاريخي يحاول البحث عن موقف العرب تجاه « اليهود » ، خصوصا منذ بدأت الهجرة الصهيونية الى فلسطين تتزايد على نحو خطـــير منذ السنوات التي تلت الحرب العـــالمية الاولى مباشرة حين بدأت الامبريالية العالمية تعد فلسطين لتكون « الوطن القومي لليهود » . وفي مقابل ذلك، لا بد ان يكون واضحا في ذهننا ما اذا كان يعد الصهاينة للعرب : ما الذي كانـــوا يقولونه ، ويفعلونه بحيث انتهى — او بتعبير ادق وصل بهم — الامر الى ما هم عليه اليوم : عدوانا وتوسعا على حساب الارض العربية وتشريدا لسكانها . وفي ضوء ذلك نحاول ان نتلمس الطريق وصـــولا الى القول بأن هذا الشعار ليس ابن الايام التي سبقت عدوان حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ ، بل هو تعبير قديم ، متجدد ، وسيظل يتجدد طالمـــا بقيت اسرائيل في موقف المنتصر والمتفوق عسكريا وهو تفوق وانتصار يجعل كلمتها قابلة للتصديق، خاصة مع امتلاكها لجهاز قوي وقادر على قلب الحقائق ، في حين يفتقد العـــرب ، وجـــود نظير له(٣).

ونأتي اخيرا الى الملابسات الدعائية ان صح هذا التعبير لعدوان حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧: نرصد جانبا واحدا من الصورة ، هو تصريحات المسئولين العرب لنرى هل نادى احد منهم بالقاء اليهود في البحر ، وهنا نقف قليلا امام التصريح الذي نسب الى السيد احمد الشقيري حين كـــان رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية .